المستويات اللغوية في روايات أحلام مستغانمي

The Multi Language Levels in Ahlem MOSTGHANMI's Novels

د. شعال هوارية

جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف-الجزائر الشلف

البريد الإلكتروني: h.chaal@univ-chlef.dz

الإرسال2020/10/15 القبول 01 /2020/11 النشر2021/01/15

الملخص

تروم هذه الورقة البحثية الكشف عن خلفية تعدد المستويات اللغوية في كتابات الأديبة الجزائرية أحلام مستغانمي التي تتميز بحياكة سردية مستفزة ، تسعى من خلالها إلى إقحام الدهشة والغرابة إلى الأدب. فهي تستهوي العبث باللغة قصد تحقيق المتعة الفنية، مستخدمة في ذلك تقنيات أدبية تكثف اللغة وتجعلها مشوهة، بحثا عن طعم جديد للكلمة. يتمتع أسلوبها السردي بتقنيات خاصة يتزاوج فيها الشعبي والعامي بشكل متجانس متناغم من خلال بنيات نصية تختلف من رواية إلى أخرى. فما الغاية من ذلك؟ وإلى أي مدى نجحت الكاتبة في الحفاظ على الهوية الجزائرية من خلال إدراجها للهجات الجزائرية في أدبها؟ بالبحث والتحليل تستخلص الدراسة أن الأديبة مستغانمي من خلال مسارها الأدبي المتميز استطاعت التملص والتخلص من بعض الأدوات التقليدية التي ترسم الحدث السردي دون أن تفقد هويتها المحلية والقومية، لتحافظ بذلك على الموروث الثقافي الذي جسدته اللغة الروائية.

الكلمات الدالة: الادب، المستويات اللغوية، تعدد، احلام مستغانمي، الرواية

Abstract

The present article aims at revealing the multi language levels in the Algerian writer, Ahlam Mosteghanemi's writings, which are characterized by a provocative narrative structure, through which she attempts to introduce strangeness into literature. This author prefers tampering with language in order to create an artistic pleasure, using literary techniques that intensify the language and make it distorted. Her narrative style has special techniques in which the popular and the public intertwine harmoniously through textual structures that differ from one novel to another. Therefore, what is her purpose of using such method of writing? And to what extent has the author succeeded in preserving the Algerian identity by including the Algerian dialects in her literature? Through research and analysis, the study concludes that the writer, Mosteghanemi, through her distinguished literary career, was able to surmount some traditional tools that draw the narrative event without losing her local and national identity, thus preserving the cultural heritage embodied by the narrative language.

Key words : *literature, language levels, multiplicity, Ahlem MOSTGHANEMI, novel*

1. مقدمة

الأدب فن أداته اللغة، بل هو اللغة بعينها حينما تتحول الكتابة الأدبية إلى متعة فنية جمالية للكاتب ووسيلة إغراء يستميل بها انتباه القارئ. ذاك هو أسلوب المبدعة أحلام مستغانمي التي ترسم لوحات أدبية فنية راقية من خلال رواياتها العديدة(ذاكرة الجسد، فوضى الحواس...). إذ المثير في كتاباتها السردية هو الأدبية والشعرية والجمالية التي تحيك بها خطابها الأدبي بغية إدخال الدهشة والغرابة إلى الأدب. فهي تنزع إلى تشويه اللغة العادية بطرق متنوعة، مستخدمة في ذلك أدوات أدبية تكثف اللغة وتجعلها منضغطة على غير طبيعتها، بحثا عن طعم جديد للكلمة. لغتها تمزج الخيال بالواقع والحلم بالحياة، عابثة بالكلمات، لتبني مع اللغة علاقة متميزة. لغة ساحرة آسرة تمارس نوعا من العشق للغة، على اعتبارها تكتب بغريزة الأنثى. ولغة الأدب الروائي عند أحلام مستغانمي متعددة المستويات اللغوية ، تتمتع بتقنيات خاصة يتزاوج فيها الشعبي والعامي بشكل متجانس متناغم من خلال بنيات نصية تختلف من رواية إلى أخرى. بحيث أدرجت العامية في مقامات عديدة في شكل حوار، تراوحت بين العامية الجزائرية والسورية وبعض الأغاني والأمثال الشعبية وحتى اللغة الفرنسية. على اعتبار أن هذا التعدد اللغوي يعد سمة من سمات الخطاب الروائي الحديث.

2. الأدب وإشكالية اللغة

يقوم الأدب على التعبير عن أشياء أو تجارب على غير العادة. فهو يرتقي بتعبيرية الموضوعات، محدثا بذلك ضوضاء مقصودة في معجم اللغة. والخطاب السردي أحد أشكال الخطاب الأدبي، حيث تشكل اللغة عنصرا من عناصره الرئيسة إلى جانب مكونات أخرى، على غرار الشخصيات، الفضاء، الزمن...فاللغة هي المميز الحقيقي للرواية، بل هي القناة التي بها وعبرها تمرر الرسالة الابداعية. لذا تشغل اللغة حيزا هاما في الابداع الأدبي لاسيما الرواية التي لا تكتسب قيمتها وتفردها إلا بتفرد لغتها من خلال الاهتمام بعملية التشخيص اللغوي وبمختلف البناءات السردية وما توفره من تميز. وبناء على هذا، تعد اللغة الأداة الأساسية في التشكيل الفني للرواية، والصورة المعبرة عن رؤيتها وهويتها التي لا تتجسد إلا باللغة، على اعتبار أن "انتماء الرواية لا يكون إلا للغة التي تكتب بها بغض النظر عن الحكاية وانتمائها إلى هذا المكان أو إلى هذا المجتمع." (العيد يمن،2005، 227)

فاللغة الأدبية لا تؤدي وظيفة الابلاغ فحسب، بل تحمل في طياتها مستويات تعبيرية أخرى من خلال الفصح عن طاقاتها الكامنة باستعمال تعابير مسكوكة أو مستنسخات تناصية مستوحاة من هنا وهناك أو أساليب انزياحية ورمزية تزيد في تميزها الأدبي. إذ تأتلف اللغة داخل الاطار

السردي مع عناصر أخرى لتنتج بذلك عالما منسجما على المستوى البنائي، والسردي، والأسلوبي، وحتى الايقاعي.

وفي هذا السياق، فقد أولى الباحث الروسي ميخائيل باختين أهمية قصوى لموضوع اللغة، وبالأخص اللغة والرواية، حيث بلور نظرته الجديدة في نقد الرواية. ويرى أن الرواية ظاهرة لغوية قبل أي اعتبار آخر، ويتجلى ذلك في تعدديتها اللغوية. فقد تشكلت الرواية وتطورت بخلاف الأجناس الأدبية الأخرى من التعددية اللغوية الداخلية والخارجية. (العوف زياد، 1993 ،168)

إن مفهوم اللغة بالنسبة لباختين "لا يقوم إلا على موضوع الرواية أو شكلها الفني، وإن كان لا يغفل هذين العنصرين الاساسين فيها بقدر ما تستند على ارتباط لغتها بالواقع." (بركات وائل، 1998، 72) ما يهم هذا المنظر في الرواية هو" ماهيتها كممارسة تقنية للغة في علاقة عضوية مع المجتمع، وليس ما تعكسه من آراء المؤلف أو ما تطرحه من موضوعات." (نفسه، ص72)

فاللغة تتطور بتطور الانسان وتتغير بتغير ظروفه. ولا عجب إن أصبحت اللغة الروائية تتجاوز الكلمات المتعارف عليها ضمن القواميس والمعاجم، لتحيك خطابا يستند إلى تعدد الأصوات والمنظورات السردية وتداخل الخطابات والأساليب اللغوية. فالرواية الحديثة تتوفر على مزيج من اللغات وعلى أكثر من نسق لغوي. وقد أشار المنظر باختين إلى لغة الروائي التي تتميز بالتعدد والتنوع لتعكس بذلك تعدد لغات المجتمع وفئاته. إذ تقوم على الإفادة من أشكال القول في المخزون الثقافي واللغوي والاجتماعي للمؤلف. (نفسه، ص69) وعلى هذا الأساس، أقام نظرية اللغة الحوارية ويرى في الرواية" صورة عن اللغة وفي اللغة صورة حوار لا ينقطع حيث تأخذ الرواية في هذه الرؤية صفات الحوار وتكون تجسيدا له." (دراج فيصل)

ومن هذا المنطلق، ينظر باختين إلى اللفظة الروائية بوصفها حاملا ايديولوجيا لا بوصفها أسلوبا فقط. ومن ثم لا تعتبر اللغة مجرد علامات رمزية، بل فضاء يتوفر على مستويات ايديولوجية متنوعة. (بركات وائل، 57) بل وأكثر من ذلك، فهي " نظام لغات تنير إحداهما الاخرى حواريا ولا يجوز وصفها ولا تحليلها باعتبارها لغة واحدة ووحيدة." (فضل صلاح، ص 294)

وعليه، فباختين ينظر إلى العمل الروائي كفضاء ابداعي ورؤية للعالم ووعي متعدد متشبع بجدلية التجارب الحياتية في بعدها الانساني ، لأن اللغة بالنسبة إليه ما هي إلا جزء من حياة الانسان مهما كانت طبقته، تعبر عن وعيه، بل هي "الواسطة المادية التي يتعامل بها الناس في المجتمع". (بركات وائل،1998، 93)

كما يرى باختين أنه مثلما تنقل الرواية الصراع الايديولوجي ضمن أسلوبها، فإنها تحمل أيضا صراعا من صنف آخر يكمن في بنياتها التي تمتزج بأشكال خطابية تتفاوت بين كتابات أخلاقية وفلسفية ومذكرات وتجارب انسانية...وفي حقيقتها تتصارع داخل كيان النص الروائي لتفرز في النهاية نسقا

منسجما. وبذلك يتحول النص الروائي بالنسبة إلى باختين إلى تفاعل منظم بين وحدات متنوعة من الأساليب، أو لنقل يتحول إلى صراع طبقي ايديولوجي من خلال اللغات واللهجات. (ميخائيل باختين، 1983 ، 38)

من خلال طرحه هذا، يسعى المنظر باختين إلى توأمة الرؤية الايديولوجية والرؤية الأسلوبية وإلى خلق نوع من التكامل بينهما، خاصة بعدما أثبت في مقارباته للغة الروائية قصور أغلب المقاربات اللغوية وعدم قدرتها على استيعاب العلاقات الروائية والتأليف فيما بينها. لتكون بذلك الرواية وحدة كلية منسجمة.

فالخطاب الروائي الجديد ينحو منحى التعددية والرمزية. إذ يستحضر الأديب أدوات شعرية إلى جانب أخرى نثرية ضمن نسق جمالي ينضوي على جملة من الاقتباسات والأساليب تتجاوز حدود النثر. هذا المظهر الجديد للغة جعل النص الروائي ينظم لغايات ترتبط بمنطلقات الكاتب الفكرية والنفسية. فكانت اللغة الواقعية والشعرية والحالمة والصوفية والتراثية، كل حسب القالب الذي يصب فيه.

3. التعدد اللغوي في الرواية

وكما سبق ذكره أنه من ميزات الخطاب السردي الحديث هو اعتماده التعدد اللغوي. ولا يدل التعدد في هذا المقام على مدلوله اللساني المتعارف عليه والمتمثل في قدرة الفرد على التحدث بأكثر من لغة للتعبير عن مقاصده لغرض التواصل مع غيره. فهذا المصطلح يحيل إلى استخدام أكثر من نظامين لسانيين مختلفين في مجتمع واحد. في حين التعدد اللغوي المقصود هنا لا يرتبط في مفهومه بمجال معين، بل هو مفهوم واسع ينطلق من مرجعية فكرية ذات بعد انساني عام متشبع بجدل التجارب الحياتية الحافلة بالتنوع والاختلاف الذي يولد الائتلاف، على اعتبار أن اللغة لا توجد في معزل عن الاحتكاك والأخذ من لغة الآخرين. ترد محفوفة بمختلف المعطيات الاجتماعية والثقافية؛ مما يكسبها خاصية التنوع والتعدد حتى وإن كانت لغة واحدة بمستويات متفاوتة. والتعدد مفهوم متداول أكثر من غيره من المفاهيم على سبيل التعدد اللفظي أو مستويات الكلام...في حين أن المستويات تفيد التعدد، وقد ينضوي ضمن المستوى الواحد أصوات روائية مختلفة الرؤى والأفكار. فالتعدد الصوتي في الرواية هو القناة التي تنقل التعدد اللغوي وتعمل على ادماجه وعلى تمييز لغة المتكلم وتفردها في الوقت ذاته، مولدا حوارا في الرواية؛ حوار المتكلم مع نفسه أو غيره أو مع المستويات الأخرى للغة.

ولعل أبرز من خاض في هذا الموضوع هو الباحث ميخائيل باختين الذي يعتبر اللغة مرصدا للتحولات الاجتماعية، إلى جانب اهتمامه بالبعد الجمالي فيها. قد شكل مفهوم الحوارية dialogisme أو التعدد اللغوي polyphonie بؤرة نظرته إلى الرواية. إذ أن هذه الحوارية هي التي تتيح استنطاق

ايديولوجيات الرواية انطلاقا من لغات مستخدميها. ومن ثم اعتبر اللغة مدخلا أساسيا لدراسة مختلف تغيرات الواقع الاجتماعي. على اعتبار أن اللغة تستطيع أن تعبر بشكل دقيق عن الصراعات الاجتماعية، وتنعكس من خلالها تلك التحولات التي يمر بها المجتمع. إذ أنها تمثل "نمط العلاقة الاجتماعية الأكثر نقاء والأكثر وضوحا. إن ما تمثله الكلمة في دقة دلالتها وما تمثله كظاهرة ايديولوجية يجب أن يعطينا أسبابا كي نضع الكلمة في المستوى الأول لدراسة الايديولوجيا"(Mikhaïl Bakhtine : 1977 : 30)

فأهمية التنوع اللغوي تتجسد بحق في تحرير النص الأدبي من سلطة اللغة الواحدة، وكذا من نير الرؤية الواحدة .إضافة إلى ذلك، فهو يفسح مجال محاورة اللغات لبعضها البعض، من جهة، وتحطيم صورة النموذج من جهة ثانية .وعليه تكون الرواية ظاهرة متعددة الأسلوب واللسان والصوت، فتطرح على المحلل مهمة اكتشاف الوحدات الأسلوبية اللامتجانسة التي تتمظهر في قوالب لسانية متباينة وخاضعة لقواعد لسانية متعددة في الآن ذاته. (ميخائيل باختين،م س ،ص32) لذا تمثل الرواية" التنوع الاجتماعي للغات، وأحيانا للغات والأصوات الفردية، تنوعا منظما أدبيا .(نفسه ،ص 33) على اعتبار أن تعدد اللغات يرتبط بتعدد الشخصيات الروائية وتصادم وجهات نظرها.

لذلك، فمستويات التعدد اللغوي، لا تظهر فعاليته واجرائيته في لغة الرواية، إلا إذا صيغ بطريقة حوارية، أي بواسطة نقل ملفوظات الآخرين، وإعادة إنتاج اللغات السائدة في المجتمع، الشيء الذي ينعكس على أسلوب الرواية :فعندما تنقل الرواية كلام الشخصيات الروائية، أو تتخللها أجناس تعبيرية ، فإنها تمكن الروائي من انجاز سرد ثنائي الصوت يخلص الرواية من السرد الاحادي الصوت والنبرة لذلك يمكننا الذهاب إلى أن تنوع اللغات وتعدد الأساليب في الرواية، لا يصبح تعددا لغويا- بالمعنى الباختيني -إلا إذا شخص تشخيصا حواريا.

فالرواية إذن تشيد موضوعها اعتمادا على تعدد اللغات والأساليب والأصوات، فهي تستقبل داخل بنائها عناصر ووحدات غير متجانسة، إذ تحتوي على لغات للأجناس التعبيرية وللفئات الاجتماعية...وهي عناصر تتداخل فيما بينها فتشكل نسقا أدبيا منسجما .وطبقا لذلك، يظهر بأن بنية الرواية تتسم بالتعدد، غير أن هذا التعدد لا يؤدي إلى تفكيك النسق السردي، بل هو صيغة جديدة في الكتابة الأدبية تنتقد الصياغة الاختزالية، وتفصح عن الطبيعة التركيبية الحوارية للخطاب الروائي، وتعرب عن لغته المتنوعة. (رشيد وديجي،2017، 33)

وعليه، فاللغة في الرواية لا تعكس الواقع الاجتماعي وفق رؤية ميكانيكية، بل تقدم تصورا عن هذا الواقع؛ حيث تصبح اللغة وسيطا يقدم من خلاله المبدع تصوره للحياة الاجتماعية.

وبناء على تصور باختين للغة الرواية وانطلاقا من تجارب كتاب كثر أبدعوا في كتاباتهم مدرجين مستويات لغوية متفاوتة لأغراض وخلفيات كثيرة...يمكن الجزم أن الرواية أضحت جنسا أدبيا

متمردا على سلطة اللغة الوحيدة، لينفتح على التعدد اللغوي، باختلاف أشكاله وتنوع صيغه. وذاك هو أسلوب الأديبة أحلام مستغانمي في سرد حكاياتها وحياكة حيثياتها مستعملة في ذلك مستويات لغوية متنوعة جمعت اللغة الأدبية الراقية بلغة عامية بسيطة. وهذا ما تروم الدراسة الخوض فيه.

4. نبذة عن الأديبة أحلام مستغانمي

من الأقلام التي أبدعت في الأدب النسوي ما بعد الاستقلال، نذكر أحلام مستغانمي. هي أديبة وشاعرة جزائرية ، ولدت في13 أفريل 1953. والدها محمد الشريف ويعد من مناضلي الثورة التحريرية المظفرة. عملت في بداية حياتها مذيعة في إحدى المحطات الإذاعية الوطنية، حيث لاقى برنامجها همسات استحسانا كبيرا، محققا لها شهرة. انتقلت بعدها إلى فرنسا في سبعينيات القرن الماضي، لتتزوج من صحفي لبناني. وفي الثمانينيات نالت شهادة الدكتوراه من جامعة السربون. حازت على جائزة نجيب محفوظ عام 1998 عن روايتها ذاكرة الجسد. كاتبة موهوبة بإحساس أنثوي مرهف جعلها تخطو خطوات عملاقة في الأدب النسوي العالمي. وقد ترجمت رواياتها إلى العديد من اللغات. عزفت على كل الطبوع وطرقت كل المواضيع، كتبت في الحب وعنه، عن الحرب، عن الجنس، عن الايديولوجيا...ومن بين ما أبدعت:

1. **ذاكرة الجسد**: رواية تم نشرها في عام 1993 ، وهي أولى روايات الكاتبة ، أكسبتها العديد من الجوائز، مثل جائزة نجيب محفوظ في عام 1997 ، وقد صنفت ضمن أفضل مائة رواية عربية ، يذكر أن الرواية تحولت إلى مسلسل تلفزيوني شهير للمخرج السوري نجدت أنزور. وقد اعتمدتها الكثير من الجامعات العربية والعالمية للتدريس في جامعاتها مثل الجامعة الأمريكية في بيروت ، وجامعة السوربون. تدور أحداث الرواية حول رسام فقد ذراعه أثناء الحرب ووقع في غرام ابنة صديقه المناضل الجزائري الذي قتل في حرب تحرير الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي ، إلا أن الفتاة تزوجت من ضابط عسكري في الحكومة الجزائرية ولكنها تواجه مشكلات جراء التقاليد والعادات في مجتمعها . ترجمت الرواية إلى أكثر من لغة مثل الانجليزية والفرنسية والايطالية والصينية.

2. **فوضى الحواس**: رواية ، نشرت لأول مرة في عام 1997 ، هي تكملة لرواية ذاكرة الجسد، حيث البطلة نفسها التي تعيش الأحداث التي شهدتها الجزائر في فترة التسعينيات وتعيش صراعا ما بين زوجها العسكري وأخيها الذي ينتمي إلى إحدى الجماعات الإسلامية.

3. **الأسود يليق بك**: رواية تم نشرها لأول مرة في عام 2012 ، وهي تعد من أفضل روايات الكاتبة وأكثرها شهرة ، تدور أحداث الرواية حول قصة حب بين رجل لبناني مليونير في عقده الخامس

ومطربة جزائرية في عقدها العشرين ويحاول الرجل بكل الطرق أن يحظى بحب الفتاة التي ترتدي السواد حدادا على قتل والدها في فترة الاضطرابات التي شهدتها الجزائر.

4. **نسيان : com** من أروع ما كتبت أحلام مستغانمي، تم نشره لأول مرة في عام 2009 ، تتحدث فيه الكاتبة عن المرأة وما تتعرض له من قصص الحب الخاسرة وطرق التخلص من آثار هذه القصص على المرأة، تمزج الكاتبة بين الجدية والطرافة في الكتاب وهذا هو سر نجاحه.

5. **عابر سرير**: رواية، نشرت لأول مرة في عام 2003 ، وهي الجزء الأخير من سلسلة ذاكرة الجسد ، وتدور أحداثها حول مصور صحفي يلتقي بأبطال الرواية السابقة في فوضى الحواس في نفس المكان الذي كانت تدور حوله الأحداث، وتنتهي الرواية بموت بطل ذاكرة الجسد. نالت الرواية إعجاب الكثير من النقاد والقراء.

6. **قلوبهم معنا وقنابلهم علينا** :كتاب نشر لأول مرة في عام 2006 ، جمع بين دفتيه كل مقالات الكاتبة التي كتبتها في مجلة زهرة الخليج والتي كانت غالبيتها تحكي وتحلل أحداث الاحتلال الأمريكي للعراق، وكان من المفترض أن تصدره في عام 2006 إلا أنه كما تقول الكاتبة استغرق الكثير من الوقت ليتم جمعه على مدى عشر سنوات.

5. المستويات اللغوية في روايات أحلام مستغانمي

تحظى اللغة بمكانة متميزة في النص السردي. إذ يعمد الكاتب إلى تنويعها والتفنن في اقتناء ألفاظها سعيا إلى تحديث الخطاب الروائي وإثرائه ببعض القيم الدلالية والجمالية. وبناء الرواية بالنسبة للكاتبة أحلام مستغانمي يتميز بتوظيف تقنيات وأساليب فنية يتلاقح فيها الشعر مع السيرة الذاتية في عالم سردي مثير تسعى فيه إلى "تقويض النمط والنموذج وتطمح الى أن تجعل الكتابة داخل الجنس مفتوحة دائما لتتوسل البحث المتواصل على شكل جديد ورؤية متجددة» (حسين مناصرة ،1999، ص 69). وكما يرى باختين أن الرواية جنس لم يكتمل بعد، تتفتح على حدود لها وتحوي أجناسا ما قبل روائية، وأشكالا أخرى من التعابير. وكتاباتها عموما ليست إلا محاولة لتكثيف التجربة بأبعادها الواقعية والحالمة معا. (نفسه)

فالمثير إذن في إبداعات أحلام السردية هو الأدبية والشعرية والجمالية التي تحيك بها خطابها الأدبي بغية إدخال الدهشة والغرابة إلى الأدب. فهي تنزع إلى تشويه اللغة العادية بطرق متنوعة، مستخدمة في ذلك أدوات أدبية تكثف اللغة وتجعلها منضغطة على غير طبيعتها، بحثا عن طعم جديد للكلمة. لغتها تمزج الخيال بالواقع والحلم بالحياة، عابثة بالكلمات، لتبني مع اللغة

علاقة متميزة. لغة ساحرة آسرة تمارس نوعا من العشق للغة، على اعتبارها تكتب بغريزة الأنثى. ولغة الأدب الروائي عند أحلام مستغانمي متعددة المستويات اللغوية، تتمتع بتقنيات خاصة يتزاوج فيها الشعبي والعامي بشكل متجانس متناغم من خلال بنيات نصية تختلف من رواية إلى أخرى. بحيث أدرجت العامية في مقامات عديدة في شكل حوار، تراوحت بين العامية الجزائرية والسورية وبعض الأغاني والأمثال الشعبية وحتى اللغة الفرنسية.

فالمناوبة تلك بين أنظمة لغوية متباينة التي وردت في طابع حوار تبعا للمستوى الثقافي للشخصيات الذي يفرض عليها القرب من الواقع حتى تكتشف عن حميمية الكلمات التي تدل على أنها صادرة من معجم الشخصيات وليس من معجمها الثقافي وإن كان الكاتب هو ذاته من يكتب تلك السمفونية بمختلف الألحان. وفيما يلي بعض المقتطفات:

1. **اللغة العامية:** وقد تخللت تلك المشاهد الحوارية التي أوردتها في الكثير من رواياتها. مثل الذي ورد على لسان الناصر وهو يرد على البطلة:

"روحي.. يا بنتي روحي، احنا رانا عايشين متأخرين على العالم بقرن. وانت قاعدة عقاب الساعة تحسبي لي في الدراج والدقائق. قرن كامل ما قلقكش..وقلقوك الدقائق. حتى الراجل اذا نديها لو يموت بالضحك...في هاذ البلاد..الناس ما ياخذولو ساعة غير لما تحبس! (أحلام مستغانمي،ص171)

ونلاحظ أيضا اندماج اللغة العامية بالفصحى في ذاكرة الجسد، تمازج بين لغة الشخصيات ولغة السارد ليولد ذلك نصا غريبا مشوها:

" عند الباب المشرع للسيارات ، أفواج القادمين، استقبلني سي الشريف بالاحضان
هلا سي خالد، أهلا زارتنا البركة، يعطيك الصحة لي جيت...راك فرحتني اليوم."
اختصرت ذلك الطريق العجيب مرة اخرى في كلمة. قلت
كل شيء مبروك..." (نفسه،ص 352)
فبعبارات الترحيب يستقبل سي الشريف صديقه خالد الذي يرد عليه حسب العادات والتقاليد التي تقتضيها مواقف الفرح
هاك جيت للجزائر اسيدي...كان موهاذ العرس ما كناش شفناك...!

وفي حوار حميمي مع اما الزهرة، والدة سي الطاهر بخالد، حيث تتجسد ثقافة المراة البسيطة. وهذا من ضروريات التماثل بين المقوم الثقافي للشخصية واللغة في الرواية.

"واشك أما الزهرة!"

زاد بكاؤها وهي تحضنني وتسألني بسرعة.

"واش راك يا وليدي.""عا السلامة...جوز يا وليدي ..جوز."

" اقعد يا وليدي..اقعد"

"يعطيك الصحة يا وليدي ...وعلاش عييت روحك يا خالد..يا ابني وجهك يكفينا..."

يبدو إذن أن لغة السارد مختلفة لحد ما عن لغة الشخصيات..إذ أن اللغة العامية وردت على لسان الشخصيات المثقفة والبسيطة على السواء ...تلبية لمتطلبات السرد. وذاك هو سر التحديث في الرواية، بل وأحد ركائز العمل الروائي.

2. **اللغة العامية المغناة:** وتمثلت في ادراج مقاطع غنائية شعبية معروفة. وقد وظفت خدمة للموقف السردي.

يا التفاحة ...يا التفاحة..خبريني وعلاش الناس والعة بيك.. (أحلام مستغانمي ، ذاكرة الجسد)

بعد ان سمع خالد هذا المقطع شعر بانه يقف وجها لوجه أمام الوطن، حيث أيقضت هذه الاغنية معالم داخلية كانت مرتبطة به منذ سنوات طويلة قضاها في الغربة. ومن ثم استنتج أن حياة أغرقته بأكل التفاح.

قالوا العرب قالوا ما نعيطو صالح ولا مالو

قالوا العرب هيهات ما يعيطو صالح باي البايات (نفسه،ص378)

ع لي ماتوا ...يا عين ما تبكيش ع اللي ماتوا...أمان ...أمان...

خارجة من الحمام بالريحية...يا لندراش للغير والا ليا ...أمان ...أمان

تلك مقتطفات تخللت حيثيات رواية ذاكرة الجسد في مواقف مختلفة، كانت في زفاف البطلة حياة من سي الشريف.

3. **المثل الشعبي:** وظفت الكاتبة موروثا ثقافيا مستوحى من التراث الشعبي الجزائري يرتبط بواقع الحياة وتجارب

الآخرين. وقد ساهم ذلك في إغناء التجربة الحياتية لشخصيات الرواية. ومن مثل ذلك اقحام الأمثال الشعبية التي تزيد التعبير قوة وسلاسة. على غرار (*كل يوم عند العزبة عرس*) (أحلام مستغانمي، فوضى الحواس، ص 164) وقد دل المثل على مقتضى الحال عندما اعتقدت جارة البطلة في رواية (فوضى الحواس) أنها من الزائرات العابرات. يرد المثل كاستشهاد.

وفي سياق آخر، يرى حسان بأن الناس لا يتزوجون إلا من بعضهم حتى (*تبقى زيتنا في دقيقنا*). (أحلام مستغانمي ذاكرة الجسد، ص 315)

والأمثلة عن مثل هذه المستويات اللغوية عديدة، يكفي تصفح روايات الكاتبة لفهم ذلك. إذ تعمدت إقحام تلك الأصوات اللغوية المتباينة المستوى الفكري والثقافي لتخلق بذلك أشكالا سردية متنوعة

ومشوقة زادت العمل الروائي رونقا فنيا خالصا وخاصا. وهي بذلك تثبت ارتباطها الوثيق ببلدها الأم، محافظة على الموروث الثقافي الجزائري الثري.

5.خاتمة

كخلاصة، يمكن القول أن الرواية تبقى جنسا أدبيا متمردا على كل النظم اللغوية والفكرية والفنية...إذ يتعمد الخطاب السردي خلق أشكال حوارية متنوعة تبعا لنوعية الشخصيات في مستواها الفكري والثقافي والأخلاقي، والذي يرتبط بوسطها الاجتماعي. والملاحظ أن السارد والشخصية قد نهلا من الذاكرة، مثبتا حضورها السردي من خلال التعليق ومناقشة الأحداث في ذاكرة الجسد. وكانت لغة السارد محافظة على مستواها الراقي في إبداعات أحلام مستغانمي. ولم يكن الفارق كبيرا لكن هذا لا يمنع السارد في مختلف أعمالها الأدبية من أن يشكل تدرجات لغوية مشكلة فسيفساء لغوية تجمع اللغة الراقية باللغة العامية والشعبية. فاحدث ذلك تواءما بين الشخصيات برغم تفاوت المستوى الفكري والاهتمامات الحياتية. كل حسب موقعه وواقعه ومقامه، وقد جلعت الكاتبة لكل مقام مقال وإن كان كل ذلك من صنعها وإبداعها. لتحقق بذلك عملا روائيا فريدا من نوعه وتحافظ على انتمائها الوطني والقومي الذي كثيرا ما جسدته في كتاباتها مثبتتة تعلقها بالوطن وولعها بالتاريخ وفخرها كونها جزائرية.

المراجع

- أحلام مستغانمي(1998)، فوضى الحواس دار الآداب ،بيروت ط .
أحلام مستغانمي(2013) ،ذاكرة الجسد، دار نوفل، بيروت.
- العيد يمني(2005)، في مفاهيم النقد وحركة الثقافة العربية، دار الفارابي ، بيروت، ط1.
- العوف زياد(1993)، الاثر الايديولوجي في النص الروائي، مؤسسة النوري للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1.
- بركات وائل(1998) نظرية النقد الروائي عند ميخائيل باختين، مجلة جامعة دمشق للاداب والعلوم الانسانية، م14، ع 3..
- حسين مناصرة(199)، ثقافة المنهج، الخطاب الروائي نموذجا، الدار المقدسة، ط1، دمشق.
- دراج فيصل(2004)، نظرية الرواية والرواية العربية المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ،ط1 .
- فضل صلاح(1996)، بلاغة الخطاب وعلم النص ،الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر،ط 1.

- رشيد وديجي(ديسمبر2017)، التعدد اللغوي في الرواية وحوارية الخطاب عند باختين: التجليات والدلالة، مجلة دراسات .
- ميخائيل باختين(1987) ، الخطاب الروائي، تر محمد برادة،، دار الفكر، بيروت .
- ميخائيل باختين(1987)، الخطاب الروائي، تر .محمد برادة، دار الأمان، الرباط، ط1 ،
- Mikhaïl Bakhtine ,(1977)Le Marxisme et la philosophie du langage , Paris : Éditions de Minuit.